

222529 - بعض جوانب العشرة الزوجية الحميدة التي يدل عليها حديث أم زرع

السؤال

قرأت حديثاً في صحيح البخاري ، في الكتاب السابع والستين ، حديث رقم 123 . وهو حديث طويل عن 11 امرأة تتحدث كل واحدة منهن عن زوجها ، وعندي بعض الأسئلة حول هذا الحديث : - ما الصفات التي كان يقصدها النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال " أنا لك كأبي زرع لأم زرع " ؟ - لماذا طلق أبو زرع أم زرع ؟ - ما الخصال الجيدة للزوج التي يشير إليها الحديث ؟ - هل يفهم من الحديث أن أبا زرع كان زوجاً جيداً ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

روى البخاري (5189) ، ومسلم (2448) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً ، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا ، قَالَتِ الْأُولَى : زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ : لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ ... الحديث ، وفيه : قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : زَوْجِي أَبُو زَرَعٍ ، وَمَا أَبُو زَرَعٍ ، أَنَاسَ مِنْ حُلِيِّ أُنْثَى ، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِي ، وَجَجَنِي فَبَجَحَتِ إِلَيَّ نَفْسِي ، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةِ بِشَقٍّ ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ ، وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنِّحُ ، أُمُّ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرَعٍ ، عَكُومُهَا رَدَاخٌ ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ ، ابْنُ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرَعٍ ، مَضْجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ ، وَيُسْبَعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ ، بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ ، طَوْعُ أَبِيهَا ، وَطَوْعُ أُمِّهَا ، وَمِلءُ كِسَائِهَا ، وَغَيْظُ جَارَتِهَا ، جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ ، لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا ، وَلَا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا ، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا ، قَالَتْ : خَرَجَ أَبُو زَرَعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَانَتَيْنِ ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا ، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا ، رَكِبَ سَرِيًّا ، وَأَخَذَ خَطِيئًا ، وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا ، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا ، وَقَالَ : كُلِّي أُمُّ زَرَعٍ وَمِيرِي أَهْلُكَ ، قَالَتْ : فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ ، مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةِ أَبِي زَرَعٍ . قَالَتْ عَائِشَةُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرَعٍ لِأُمِّ زَرَعٍ) .

شرح الحديث :

(أَنَاسَ مِنْ حُلِيِّ أُنْثَى) أي أُنَاسِي بِالْحُلِيِّ فِي أُنْثَى فَهُوَ يَتَدَلَّى مِنْهَا .

- (وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدِي) مَعْنَاهُ أَسْمَنِي .
- (وَبَجَحَنِي فَبَجَحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي) مَعْنَاهُ وَعَظَّمَنِي فَعَظُمْتُ عِنْدَ نَفْسِي . يُقَالُ : فَلَانٌ يَتَبَجَّحُ بِكَذَا أَيَّ يَتَعَظَّمُ وَيَفْتَخِرُ .
- (وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةِ بِشِقِّ) فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقِّ (أَرَادَتْ أَنْ أَهْلَهَا كَانُوا أَصْحَابَ غَنَمٍ لَا أَصْحَابَ خَيْلٍ وَإِبِلٍ ، وَالْعَرَبُ لَا يَعْظُمُونَ أَصْحَابَ الْغَنَمِ ، وَإِنَّمَا يَعْظُمُونَ أَهْلَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ .
- وَأَمَّا قَوْلُهَا : (بِشِقِّ) يَحْتَمِلُ أَنَّهُ اسْمُ مَكَانٍ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ مَرَادُهَا أَيُّ بِشَظَفٍ مِنَ الْعَيْشِ وَجَهْدٍ . وَقَوْلُهَا : (وَدَائِسَ) هُوَ الَّذِي يَدُوسُ الزَّرْعَ فِي بَيْدَرِهِ . يُقَالُ : دَاسَ الطَّعَامَ دَرَسَهُ .
- قَوْلُهَا : (وَمُنَقِّ) الْمُرَادُ بِهِ الَّذِي يُنَقِّي الطَّعَامَ أَيُّ يُخْرِجُهُ مِنْ قُشُورِهِ ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ صَاحِبُ زَرْعٍ ، وَيَدُوسُهُ وَيُنْقِيهِ .
- قَوْلُهَا (فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ) مَعْنَاهُ لَا يُقْبَحُ قَوْلِي فَيَرُدُّ ، بَلْ يَقْبَلُ مِنِّي .
- وَمَعْنَى (أَتَصَبَّحُ) أَنَامَ الصُّبْحَةَ ، وَهِيَ بَعْدُ الصَّبَاحِ ، أَيُّ أَنَّهَا مَكْفِيَةٌ بِمَنْ يَخْدُمُهَا فَتَنَامُ .
- وَقَوْلُهَا : (فَأَتَقَنَّحُ) مَعْنَاهُ أُرَوِّى حَتَّى أَدَعَ الشَّرَابَ مِنَ الشَّدَّةِ الرَّيِّ .
- قَوْلُهَا : (عُكُومُهَا رَدَاحٌ) الْعُكُومُ هِيَ الْأَوْعِيَةُ الَّتِي فِيهَا الطَّعَامُ وَالْأَمْتَعَةُ ، وَرَدَاحٌ أَيُّ عِظَامٌ كَبِيرَةٌ .
- قَوْلُهَا : (وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ) أَيُّ وَاسِعٌ .
- قَوْلُهَا : (مَضَجَعَهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ) مُرَادُهَا أَنَّهُ خَفِيفُ اللَّحْمِ ، وَهُوَ مِمَّا يُمَدِّحُ بِهِ الرَّجُلُ .
- قَوْلُهَا : (وَتُسْبِعُهُ ذِرَاعَ الْجَفْرَةِ) الْجَفْرَةُ وَهِيَ الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الْمَعْزِ ، وَهِيَ مَا بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَفُصِّلَتْ عَنْ أُمِّهَا . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ قَلِيلُ الْأَكْلِ ، وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِهِ .
- قَوْلُهَا : (طَوَّعَ أَبْيَاهَا وَطَوَّعَ أُمُّهَا) أَيُّ مُطِيعَةً لَهُمَا مُنْقَادَةً لِأَمْرِهِمَا .
- قَوْلُهَا : (وَمِلءٌ كِسَائِهَا) أَيُّ مُمْتَلِئَةُ الْجِسْمِ سَمِيئَةً .
- قَوْلُهَا : (وَغَيْظُ جَارَتِهَا) قَالُوا : الْمُرَادُ بِجَارَتِهَا ضَرَّتَهَا ، يَغِيظُهَا مَا تَرَى مِنْ حَسَنَاتِهَا وَجَمَالِهَا وَعِفَّتِهَا وَأَدَبِهَا .
- قَوْلُهَا : (لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْثِيئًا) أَيُّ لَا تُشِيعُهُ وَتُظْهِرُهُ ، بَلْ تَكْتُمُ سِرَّنَا وَحَدِيثَنَا كُلَّهُ .
- قَوْلُهَا : (وَلَا تَنْقُتْ مِيرَتَنَا تَنْقِيئًا) الْمِيرَةُ الطَّعَامُ الْمَجْلُوبُ ، وَمَعْنَاهُ لَا تُفْسِدُهُ ، وَلَا تُفَرِّقُهُ ، وَلَا تَذْهَبُ بِهِ وَمَعْنَاهُ وَصْفُهَا بِالْأَمَانَةِ .
- قَوْلُهَا : (وَلَا تَمَلُّ بَيْتَنَا تَعَشِيئًا) أَيُّ لَا تَتْرُكُ الْكُنَاسَةَ وَالْقِمَامَةَ فِيهِ مُفَرَّقَةً كَعُشِّ الطَّائِرِ ، بَلْ هِيَ مُصْلِحَةُ لِلْبَيْتِ ، مُعْتَنِيَةٌ بِتَنْظِيفِهِ .
- قَوْلُهَا : (وَالْأَوْطَابُ تُمَخَضُ) هُوَ جَمْعُ وَطْبٍ وَهِيَ سَقِيَّةُ اللَّبَنِ الَّتِي يُمَخَضُ فِيهَا .
- قَوْلُهَا : (يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرُهَا بِرُمَانَتَيْنِ) الْمُرَادُ بِالرُّمَانَتَيْنِ هُنَا تَدْيَاهَا .
- قَوْلُهَا : (فَنَكَحَتْ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا) (سَرِيًّا) مَعْنَاهُ سَيِّدًا شَرِيفًا ، وَقِيلَ : سَخِيًّا ، (شَرِيًّا) هُوَ الْفَرَسُ الْفَائِقُ الْخِيَارُ .
- قَوْلُهَا : (وَأَخَذَ خَطِيًّا) هُوَ الرَّمْحُ .
- قَوْلُهَا : (وَأَرَاكَ عَلَيَّ نِعْمًا ثَرِيًّا) أَيُّ أَتَى بِهَا إِلَى مَوْضِعِ مَبِيتِهَا . وَالنَّعَمُ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ .

وَالثَّرِيَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ .

قَوْلُهَا : (وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا) فَقَوْلُهَا (مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ) أَيُّ مِمَّا يَرُوحُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْعَبِيدِ . وَقَوْلُهَا (زَوْجًا) أَيُّ اثْنَيْنِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا أَرَادَتْ صِنْفًا ، وَالزَّوْجَ يَقَعُ عَلَى الصِّنْفِ .
قَوْلُهُ : (مِيرِي أَهْلَكَ) أَيُّ أَعْطَاهُمْ وَأَفْضَلِي عَلَيْهِمْ وَصَلِيَهُمْ .

قال الحافظ رحمه الله :

" زَادَ فِي رِوَايَةِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ : (فِي الْأُلْفَةِ وَالْوَفَاءِ لَا فِي الْفُرْقَةِ وَالْجَلَاءِ) . وَزَادَ الزُّبَيْرُ - يَعْنِي ابْنَ بَكَارٍ - فِي آخِرِهِ : (إِلَّا أَنَّهُ طَلَّقَهَا وَإِنِّي لَا أُطَلِّقُكَ) . وَزَادَ النَّسَائِيُّ فِي رِوَايَةٍ لَهُ وَالطَّبْرَانِيُّ : قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي زَرْعٍ . وَكَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ تَطْيِيبًا لَهَا وَطُمَأْنِينَةً لِقَلْبِهَا وَدَفْعًا لِإِيْهَامِ عُمُومِ التَّشْبِيهِ بِجُمْلَةِ أَحْوَالِ أَبِي زَرْعٍ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَذُمُّهُ النِّسَاءُ سِوَى ذَلِكَ ، وَأَجَابَتْ هِيَ عَنْ ذَلِكَ جَوَابَ مِثْلِهَا فِي فَضْلِهَا وَعِلْمِهَا " انتهى من " فتح الباري " (9/275) .

وقال أيضا :

" التَّشْبِيهُ لَا يَسْتَلْزِمُ مُسَاوَاةَ الْمُشَبَّهِ بِالْمُشَبَّهِ بِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ) وَالْمُرَادُ مَا بَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ فِي رِوَايَةِ الْهَيْثَمِ فِي الْأُلْفَةِ إِلَى آخِرِهِ لَا فِي جَمِيعِ مَا وُصِفَ بِهِ أَبُو زَرْعٍ مِنَ الثَّرْوَةِ الزَّائِدَةِ وَالْإِبْنِ وَالْخَادِمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَمَا لَمْ يَذْكُرْ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ كُلِّهَا " انتهى من " فتح الباري " (9/277) .

وَقَالَ الْفَرُطُبِيُّ رحمه الله :

" قَوْلُهُ : (كُنْتُ لَكَ مَعْنَاهُ أَنَا لَكَ ، وَهَذَا نَحْوُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) أَيُّ أَنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ " انتهى من " عمدة القاري " (20/178) .

فمقصوده صلى الله عليه وسلم بقوله : (كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لَأَمْ زَرْعٍ) يعني في حسن العشرة ، وكرم الصحبة ، ودوام المحبة والألفة ، وأكد ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : (إِلَّا أَنَّهُ طَلَّقَهَا وَإِنِّي لَا أُطَلِّقُكَ) .

ثانيا :

سبب طلاق أبي زَرْعٍ أُم زَرْعٍ ، أن هذه المرأة التي لقبها فأعجبته وتزوجها على أُم زَرْعٍ ، أَلَحَّتْ عَلَيْهِ فِي طَلَاقِ أُم زَرْعٍ - وَكَانَ يَهْوَاهَا وَيَحِبُّهَا أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّتِهِ أُم زَرْعٍ - فَطَلَّقَهَا .

قال الحافظ :

" قَوْلُهُ : (فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا) فِي رِوَايَةِ الْحَارِثِ : (فَأَعْجَبْتُهُ فَطَلَّقَنِي) ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ : (فَخَطَبَهَا أَبُو زَرْعٍ ، فَتَزَوَّجَهَا ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ أُم زَرْعٍ) ، فَأَفَادَ السَّبَبَ فِي رَغْبَةِ أَبِي زَرْعٍ فِيهَا ثُمَّ فِي تَطْلِيقِهَا أُم زَرْعٍ " انتهى من " فتح الباري " (9/274) .

ثالثا :

تضمن هذا الحديث بعض الخصال الحسنة التي ينبغي أن يكون عليها الزوج تجاه زوجته ، فمن ذلك :

- حسن العشرة بالتأنيس والمحادثة .
- المباشرة بالمداعبة والمزاح في غير تعد .
- إتحافها بالهدايا والألطف .
- إكرامها بحسن الإنفاق عليها وعدم البخل حتى إنها ذكرت أن زوجها الثاني كان كريما معها ومع ذلك قالت : (لَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أُعْطَانِيهِ ، مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةِ أَبِي زَرْعٍ) .
- عدم استهجانها أو الاستخفاف بعقلها إذا تكلمت أو فعلت شيئا .
- إمساكها بمعروف وعدم تطليقها حيث كانت عفيفة دينة ، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم : (كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَّقَهَا وَإِنِّي لَا أُطَلِّقُكِ) .
- رعاية أولادها وحسن تربيتهم وتأديبهم ، فإن ذلك من تمام حسن عشرتها .
- حسن اختيار الزوج للجارية التي تخدم في البيت ، فتصلح ولا تفسد ، وتزوج للخير وتسكت عن الشر ، وذلك أيضا من تمام حسن عشرته لزوجته .

وقد جاء أن أبا زرع ندم بعد ذلك على طلاقها .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَبَا زَرْعٍ نَدِمَ عَلَى طَلَاقِهَا ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا " انتهى من " فتح الباري " (9/277)

والله أعلم .